

القراءة في عطلة!

ارتفعت، على سبيل المثال، نسبة ساكنة منطقة الكبيك التي تستعمل المكتبات العمومية، حسب أرقام السنة الماضية، إلى 96 بالمائة. بينما جاوز عدد الإعارات على مستوى المكتبات العمومية في فرنسا الثلاثمئة مليون إعارة.

بالطبع، دون الحديث عن بقية أنواع المكتبات الأخرى، ومنها المكتبات الجامعية والمكتبات المتخصصة، ومكتبات المستشفيات ومكتبات السجون وغيرها، ودون الحديث عن أرقام المعاملات التي يحققها قطاع الكتاب بشكل عام داخل هذه البلدان، والتي تتجاوز أحياناً أرقام الصناعات الكبرى وعلى رأسها صناعة السيارات. إنها الأرقام التي تفند بالمناسبة مزاعم الذين يفتاتون من تكنولوجيا المعلومات الجديدة، والذي يلوّحون بنهاية الكتاب الورقي ومعه المكتبات بكل أنواعها.

وفي آخر دراسة ميدانية تهم عادات القراءة خلال الصيف لدى الأوروبيين، يتأكد استمرار علاقتهم بالكتاب وبالقراءة، خلال كل الصيف، كما في بقية الفصول. إذ تكشف نتائج الدراسة عن تخصيص أكثر من 80 بالمائة من العينة لوقت أكثر للقراءة خلال العطلة. بينما تتجاوز نسبة الذين يفضلون الكتاب الورقي 60 بالمائة، في الوقت الذي تصل فيه نسبة الذين يفضلون القراءة على الشاطئ الخمسين بالمائة.

حسن الوزاني
كاتب مغربي

كما جرت العادة، تختار دور النشر العربية، عشية كل صيف، الدخول في عطلة طويلة غير معلنة، حيث يندر أن تصدر دار نشر كتاباً ما خلال الصيف، كما لو أن الأمر عملية انتحارية، في مقابل ذلك، تستيقظ دور النشر المهووسة بصناعة الكتاب المدرسي من سباتها السابق لتحجز لنفسها مطابع البلد، ومعها مكتبات البيع، موجهة بذلك حلقات صناعة الكتاب نحو مجال مريح، يستحق أن يتم معه الاستغناء عن فترة تقاليد على شاطئ ما.

إنه سيات يعود إلى أكثر من سبب، فالإ جانب التأخر التاريخي لانطلاق قطاع النشر العربي مقارنة مع الدول الأوروبية، والذي ما زالت ظلاله ممتدة على القطاع، يبدو مشهد النشر، حافلاً بالحالات المفارقة التي تغيب عنها رائحة المهنية. إذ إن هناك دور نشر يديرها أفراد العائلة، وقد تتوارث، كما لو أنها أملاك عقارية وليست مشاريع ثقافية. وهناك دور نموت فور توقف أوكسجين الدعم. وهناك دور تختبئ وراء خطاب أزمة القراءة لكي تأتي على حقوق كتابها. وهناك دور تفنّد لادنى شروط عمل النشر، وهو التوفر على لجان القراءة، الأمر الفاصل بين مهنة المطبعي ومهنة الناشر.

ولذلك، يبدو عادياً أن يظل إنتاج دور النشر العربية محدوداً، على الأقل على المستوى الكمي، إذ يقل ما يصدر عن مجمل هذه الدور سنوياً عن إنتاج بلد واحد قريب، وهو تركيا، دون الحديث عن البلدان الأخرى التي تملك صناعة كبرى على مستوى النشر. كما هو الأمر بالنسبة إلى فرنسا أو الولايات المتحدة، أما ربط مشاكل القطاع بشماعة مشكلة القراءة فامر غير منصف، ذلك لأن القطاع الجيد هو الذي يمكن أن يخلق القارئ الجيد. وأما صناعة القارئ فقدياً، بالإضافة إلى توفير شروط أخرى ومنها إدماج القراءة ضمن المنظومة التعليمية، من الاستجابة لحاجياته، وهي الحاجيات التي تتغير حسب الأعمار والأذواق والتكوين والحالة الاجتماعية والجنس وأيضاً حسب الفصول. ولعل ذلك ما لا تنتبه إليه أغلب دور النشر العربية التي تستمر في فرض ما توفر لها من عناوين على قراء غير معنيين، على سبيل المثال، بكتب النقد الأدبي، بأسئلة التي لا تنتهي، أو بفيضان الدواوين الشعرية التي تملأ المكتبات والتي لا يقرأها أحد.

إن القارئ ملك. على الأقل كما تصوّره أدبيات علم المكتبات واضعة إياه في قلب حلقات صناعة الكتاب، ولعل ذلك ما يفسر دور المكتبات العمومية، التي اجتاحت أحياء دول أوروبا والولايات المتحدة، ابتداء من القرن السادس عشر، والتي لها وظيفة حاسمة على مستوى إشاعة القراءة ودمقرطة المعرفة وتيسير الوصول إليها من قبل الجميع. وكان أساس ذلك يكمن بالضبط في طبيعة خدمات هذه المكتبات الموجهة إلى العموم وفي رصيدها الذي يفترض فيه أن يستجيب لحاجيات الجميع، ابتداء من الطفل الذي يبحث عن كتابه الأول، إلى المراهق الذي يبحث عن كتب رسائل الحب، إلى المرأة التي تبحث عن دلائل تعلم الأمومة، إلى الصانع الذي يحتاج فك معادلة تقنية.

إنها المكتبات نفسها التي ما زالت تستمر في صنع المجتمع القارئ، حيث

أيام في أصيلة.. حراك ثقافي ممتد

موسم ثقافي يؤثر في النشاط السياحي والمجهود التنموي في المغرب



مهرجان فاض بسمره على المدينة وما جاورها

ونهارين، كان شعوري فيها موزعاً بين السعادة والذبول، فقد كنت سعيداً بمن التقيت من الأصدقاء والمعارف، وجلبهم كبار المثقفين وصفوة الأكاديميين، وفي حالة ذبول من المتغيرات التي شاهدها في الرباط التي عرفتها، حتى كاني في مدينة أخرى بسبب مستجداتها الكثيرة، بل الكثيرة جداً.

وما أن عدنا إلى أصيلة، فقد توجهنا منها إلى مدينة العرائش التي لم أزرها من قبل ووجدنا الشافعي بانظارتنا، وهو من أصدقاء الشاعر إدريس علوش الذي كان يعاني من وعكة صحية، وقادنا الشافعي في جولة أطلعنا خلالها على معالم المدينة التاريخية وعلى ميناها الملل على الأطلسي، وحين شاهدت مركز المدينة وميدانها الرئيسي، وجدتها تشبه إلى حد كبير بلدة أندلسية.

أكثر من حديقة من حدائق أصيلة سميت بأسماء مفكرين كبار من الراحلين، كانت لهم مشاركاتهم في دورات موسمها الثقافي

وزرنا المقبرة البحرية، حيث قبر الكاتب الفرنسي جان جينيه وغير بعيد عنه قبر الكاتب الإسباني خوان غويتسلسو الذي عاش وتوفي في مدينة مراكش، لكن يبدو لي أنه اختار أن يدفن في العرائش ليكون قريباً من وطنه. ثم كانت عودتنا إلى أصيلة لحضور حفل ختام الموسم الثقافي الذي تميز بحضور شعبي كبير، وأمام هذا الحضور تساءلت إن كان منندي أصيلة الثقافي يحتفي بابناء أصيلة، أم أن أبناء أصيلة يحتفون بختام موسمهم الثقافي؟

وأجمل ما لفت نظري في حفل الختام، هو إعلان أمين عام المندي محمد بن عيسى، عن بدء الاستعدادات للموسم الثاني والأربعين من موسم أصيلة الثقافي.

التي اعتدنا أن نجدنا في المدن المتقدمة وبجميع الخدمات التي تسعد سكانها ونستقطب القادمين إليها، ومما لفت نظري أن مبدعين معروفين من مغاربة وعرب واجانب اختاروا الإقامة فيها وممارسة نشاطهم الإبداعي في رحابها. إن المساحات الخضراء فيها من حدائق ومتنزهات وملعب أكبر بكثير مما اعتدنا أن نجدنا في بعض المدن الكبيرة، وبالمناسبة لا بد من الإشارة إلى أن أكثر من حديقة من حدائقها سميت بأسماء مبدعين ومفكرين كبار من الراحلين، كانت لهم مشاركاتهم في دورات موسم أصيلة الثقافي، منها حديقة الشاعر الأبرقي تشيكاي أوتامسي وحديقة محمد عبد الجابري وحديقة بلند الحيدري وحديقة محمود درويش، وربما كانت حدائق أخرى باسماء مبدعين آخرين، لم نتح لي فرصة للاطلاع عليها، أما المدينة القديمة فقد ازدادت القابكل ما فيها من بيوت وأسواق، وشواخص تشكل ركناً من أركان تاريخ المدينة الاجتماعي والسياسي، وذلك بفضل العناية بها وترميمها والحرص عليها.

وعلى الصعيد الشخصي، أتيج لي في هذه المشاركة، أو لقل على هامشها، أن التقى أصدقاء، حرمتمني ظروفى وظروف بلدي في الربع القرن الأخير من اللقاء بهم، فجذدت معهم ما كان من أواصر علاقات شخصية وثقافية واستعدنا بعض ما كان لنا من ذكريات. وبمبادرة من صديقي المثقف الرصين أحمد الدين الذي خطط لكل شيء بدقة عرف واشتهر بها، زرنا مدينة طنجة ورافقتنا إليها الشاعر إدريس علوش، فتوقفنا عند أماكن كنا نتردد عليها قبل أربعة عقود من الزمن، لكن غاب عنها من كنا نلتقيهم فيها من الكتاب والفنانين، فاستحضرنا ذكرياتنا معهم.

ثم كانت رحلتنا من طنجة إلى الرباط بالقطار فائق السرعة "البراق" وكانت هذه الرحلة تستغرق في ما مضى، إن أسعفتني الذاكرة، ما يقرب من ست ساعات، فاختصرها "البراق" في سبعين دقيقة، مع أنه توقف في مدينة القنيطرة لمدة عشر دقائق، ومكثنا في الرباط ليلة

بات موسم أصيلة الثقافي واحداً من أهم النشاطات الثقافية العربية والأفريقية، وهو في تطوّر ونضج مستمرين، وتأتي أهميته من تواصل واستمرار دوراته ومن تعدد ميادين نشاطه، وكذلك من أهمية المشاركين في هذه النشاطات من مغاربة وعرب وأفارقة وغيرهم.

أما أنا وبمبادرة من محمد برادة، فقد حجز لي فندقاً بمدينة طنجة، إذ كان أيام ذاك رئيس اتحاد كتاب المغرب، فإذا انتهت النشاطات الأدبية وحل المساء، رافقتني الروائي الراحل محمد شكري إلى مدينة طنجة لأقضي ليلتي في أحد فنادقها، ثم يمر بي صباحاً لنعود معا إلى أصيلة والالتحاق برملائنا.

لقد كانت بلدة صغيرة، وكل ما فيها بسيط ومتواضع، رغم جمال موضعها وسحر طبيعتها، وإذ لا أتذكر جميع ما كان فيها، لكن أن أقيم في فندق بطنجة، فهذا يعني أن فنادقها لم تكن مهياة لاستقبال ضيف متواضع في طلباته واحتياجاته.

ثم كانت زيارتي الثانية في أوائل تسعينيات القرن الماضي، للمشاركة في أحد موسم أصيلة الثقافي الذي كانت انطلاقته في العام 1978، ورغم كون إقامتي في أصيلة قصيرة، غير أنني لاحظت تطورا واضحا على صعيد البنى التحتية فيها، قياسا على ما كانت تحفظ به ذاكرتي من صورة لبلدة صغيرة تحمل الكثير من ملامح القرى الأندلسية، إذ كان ذلك التطور هو في إطار التطور العام في المغرب، إلا أن الكثيرين ممن التقيتهم يحيلون التقدم الذي عرفته أصيلة تحديداً، إلى تأثير الموسم الثقافي، حيث باتت المدينة ترفل بنشاط سياحي، محلي وخارجي، وهذا النشاط اقترن بنشاط تنموي.

خلود فكري

أما في زيارتي الأخيرة، حيث شاركت في موسم أصيلة الثقافي الحادي والأربعين، وقد أشرت إلى ذلك من قبل، فقد فاجأني مدينة حديثة تنقسم بالحوية والجمال والاستقرار والأمان والتنظيم الحضري بجميع مفرداته

حميد سعيد
كاتب عراقي

في مطلع شهر يوليو الماضي، حلت في مدينة أصيلة المغربية، للمشاركة في نشاطات موسم أصيلة الثقافي الحادي والأربعين، بدعوة كريمة من الأمين العام لمندى أصيلة الثقافي، محمد بن عيسى، وكانت مشاركتي هذه في يومين متتاليين، حيث شاركت في اليوم الأول عدداً من الشعراء والنقاد المغاربة والعرب، بتقديم ورقة نقدية، ركزت فيها على متغيرات القصيدة في فضاء المتغيرات العامة، وفي اليوم الثاني شاركت شعراء آخرين من المغرب وعدد من الأقطار العربية بقراءة عدد من قصائدي، ولم يتوقف حضوري في نشاطات موسم أصيلة الثقافي خاصة، وفي الفضاء الثقافي المغربي عامة، على اليومين المذكورين، بل تواصل هذا الحضور، في ما عشت من حيوية الحراك الثقافي، حتى يوم اختتام هذا الموسم، لأعود إلى الأردن حيث أقيم في عمان.

بين زمنين

إن علاقتي بمدينة أصيلة، تمتد إلى زمن غير قصير، إذ كانت زيارتي الأولى لها في العام 1976 حيث شاركت وفداً من اتحاد كتاب المغرب جاء إليها للمشاركة في نشاط أدبي كان يقيمه خريجو ثانوية الإمام الأصيلي، وكنت العربي الوحيد، حيث كنت أعمل ملحقاً صحافياً في سفارة العراق بالرباط، وكان جميع المشاركين في ذلك النشاط من الأبناء المغاربة القادمين من مدن شتى، وكانوا في ضيافة أبناء مدينة أصيلة، ينامون في بيوتهم ويتناولون بعض وجبات الطعام فيها.

كتاب يبحث في الخطاب الكولونيالي وتجسّداته

المنهجين: "السيمبائي" و"النقائي"، إدراكاً منه أن القراءة السيميائية تفضي إلى استكناه الأنساق الثقافية المتوارية. ومن جانب آخر عنيت الدراسات والبحوث التي احتواها الكتاب بمفهوم "الخطاب"، بمعنى الطريقة التي تُعرض بها الحكاية، وهو مفهوم يتفق مع دلالة مفهوم "السرد"، فهما يركزان على "النظام" الذي يسير عليه الخطاب أثناء عرضه الحكاية. ومن هنا تحدت مهمة هذه الدراسات في الكشف عن منطق الخطاب أو النظام الذي يحكم مسار الخطاب، أي البحث عن الجانب العقلي الذي يقوم عليه هذا المنطق، ذلك أن في الفن والإبداع أساساً منطقياً عقلياً.

دولة أو أمة أو شعباً أو مجموعة بشرية أو فرداً. ومن هنا بحث مؤلف الكتاب، من خلال الروايات التي اختارها، في علاقة دولة مستعمرة بالمرکز، وما يدور في فلكه من تابع أو تابعين، لذا وقفت هذه الفصول على الخطاب الكولونيالي وتجسّداته على مستوى الدول والأمم وانتهاء بعلاقة الأفراد في ما بينهم، ذلك أن الكولونيالية تقوم على ركنتين هما "الهيمنة" و"التمثيل"، مما يفترض وجود سلطة بيد من يمارسها على آخر تابع قد يكون

يحكم قواعد السرد، بمعنى البحث عن العقل الذي يوجّه استراتيجية السرد وقواعده وينظم محتواه.

وكذلك تحليل مفهوم المركز، وما يدور في فلكه من تابع أو تابعين، لذا وقفت هذه الفصول على الخطاب الكولونيالي وتجسّداته على مستوى الدول والأمم وانتهاء بعلاقة الأفراد في ما بينهم، ذلك أن الكولونيالية تقوم على ركنتين هما "الهيمنة" و"التمثيل"، مما يفترض وجود سلطة بيد من يمارسها على آخر تابع قد يكون

عمان - يأتي كتاب "منطق الخطاب: المركز والتابع.. قراءة في السرد الكولونيالي" للباحث الأردني زهير محمود عبيدات، للباحث الأردني زهير المعز للنشر والتوزيع في عمان، بحثاً أكاديمياً في البات الخطاب واختلافه بين المركز والتابع.

ويضم الكتاب خمسة فصول كتبها عبيدات في فترات متباعدة ترتبط في ما بينها بمحاوّر مشتركة، فقد عبرت عن بعض الأسئلة التي طرحتها الألفية الثالثة، وأفادت من المنهجين "السيمبائي" و"النقائي"، مركزة على قراءة البنية وما تشير إليه من دلالات، وتمثّل هدفها في البحث عن "منطق"



القارئ ملك (لوحة للفنان سعود عبدالله)